

بريكست.. اتفاق دون تنازلات



النتيجة السيئة والعلاقة المشوهة مع الماطلة من أجل تأخير موعد الخروج عن تاريخه المحدد في الحادي والثلاثين من الشهر الجاري.

اتفاق الخروج يخلو من كل النقاط التي أرادت المعارضة البريطانية تحديدها مسبقاً لرسم الإطار العام لمفاوضات المرحلة الانتقالية بين لندن وبروكسل. من أبرز هذه النقاط كانت حقوق المواطنين المقيمين لدى كل من الطرفين، ومرجعيتهم القانونية والإجرائية في العمل والمال والتنقل والقضاء. ولكن حكومة المحافظين أبتت على كل شيء معلقاً من أجل التفاوض مع الاتحاد الأوروبي.

لا يريد بوريس جونسون أن يقدم شيئاً مجاناً لبروكسل. يريد مقابلاً لكل شيء ويريد أن تبقى جميع خطوط المفاوضات بيده ويبدد حكومته. هكذا يبقى الطرف الأقوى في المفاوضات. وهكذا يستطيع أن يمارس الخبث السياسي، إن جاز التعبير، في حوار مع الاتحاد الأوروبي. يمكن له أن يبتزهم ويساوهم ويغيرهم ضمن الأطر القانونية طبعاً، ولكن دون رقيب بريطاني يطالبه بتفسير كل خطوة.

رئيس الوزراء جعل محاكمته برلماناً على ملف الخروج تنحصر في النتيجة إلى حد بعيد. فرقابة البرلمان على سير مفاوضات الحكومة مع الاتحاد الأوروبي خلال الفترة الانتقالية هي في الحدود الدنيا. هذا يعني مسؤولية مضاعفة وليس فقط حرية في المفاوضات، لأن

بهاء العوام
صحافي سوري

أفرض مجلس العموم البريطاني أخيراً عن صفقة الخروج من الاتحاد الأوروبي. ليس برغبة جميع أعضائه طبعاً وإنما بإرادة الأثرية البرلمانية لحزب المحافظين. مرت الصفقة بعد أسقط أنصار رئيس الوزراء بوريس جونسون كل المرفقات التي أرادت المعارضة إلحاقها في الاتفاق، من أجل تقييد مفاوضات لندن المقبلة مع بروكسل حول المرحلة الانتقالية والشكل النهائي للبريكست. ما أن غادر الاتفاق قاعة مجلس العموم إلى اللوردات، حتى خرجت الحكومة بتقدير مبجل للفرقة العليا في البرلمان تطالبها فيه بالمصادقة على صفقة الخروج بسرعة، وإعادتها لتوصيلها إلى الملكة إليزابيث الثانية لختتمها، وتحولها إلى قانون يوضع حين التنفيذ نهاية شهر يناير الجاري كما هو مقرر له. ومن هناك ستبدأ دون تأخير المرحلة الانتقالية التي تمتد على أحد عشر شهراً.

لن تعاني الحكومة كثيراً للحصول على موافقة اللوردات غير المنتخبين على اتفاق بريكست. صحيح أن معظمهم يؤيد البقاء، ولا يمتلك الكافية إذا ما تحالف حزب العمال والليبراليين الديمقراطيين على الأقل. لكن خيار

حتى لا يلدغ العرب من الجحر التركي مرتين

الواحدة. وليس معنى هذا نسفاً لتاريخ مشترك بين العرب والأتراك يمتد إلى أكثر من 500 عام، وإنما ينظر إلى التاريخ للاتعاظ والتصحيح وحتى لا يلدغ العرب من جحر واحد مرتين.

دبلوماسية، فإن النفور الأوروبي هو ما عزز فعلياً التراجع عن الإصلاحات في تركيا بالترتيب مع صعود لحزب العدالة والتنمية الإسلامي وبداية مخطط التصحيح على المؤسسات العلمانية والجيش وإعادة بناء السلطة ومراكز النفوذ حول محور الرئاسة، عبر تعديلات دستورية متلاحقة للنظام السياسي. لكن هل كانت حصيلة هذه العودة منذ نحو عقدين، أيا كان الحلف الذي اختارته أنقرة، يعد بها في مجال التعاون المثمر والمجدي لشعوب المنطقة. على عكس السياح العرب والتجار الذين يعرفون تركيا وأسواقها وقصورها شيراً شبراً، يحاول التركي العثماني إعادة اكتشاف فنائه الخلفي بطموحات مختلفة ومشروعة في نظره بحكم التاريخ والدين ليس فقط عبر صفقات السلاح واتفاقيات الدفاع والتجارة غير المتوازنة ولكن أيضاً عبر سياسة راجح في اتجاه واحد.

تركيا لم تكن تقيم وزناً للسيادة وحدود دول الجوار أثناء تلويعها الدائم بتحريك قواتها لتعقب الفصائل الكردية داخل سوريا والعراق ولم تتربد في فعل ذلك وفي فسخ المجال للألاف من مرتزقة العالم لعبور الحدود إلى الداخل السوري وحتى عقد صفقات لاستنزاف الموارد السورية في المناطق المحتلة. والخطر اليوم يهدد أمن كامل منطقة المتوسط وشمال أفريقيا بشأن اتفاق ترسيم الحدود البحرية مع طرابلس كما هو الخطر العسكري الداهم عبر الأراضي الليبية أين يتم التحضير لصناعة مستتق دولي.

طارق القزاني
صحافي تونسي

كان أول ما فعله الزعيم العلماني مصطفى كمال أتاتورك عند سقوط الخلافة العثمانية هو استبدال الحروف العربية بحروف لاتينية للغة المحلية، واستتبع ذلك ما يشبه ثورة ثقافية في بلاد الأناضول في مسعى حثيث للحاق بركب الدول الأوروبية.

كانت العلاقات بين تركيا والعرب والمشرق، في الأثناء، بالكاد تذكر طوال عقود من إعادة تاهيل تركيا الأوروبية برغم كل المنزلات التي عرفها هذا البلد عبر الانقلابات العسكرية وتفوق المؤسسات العلمانية حد الاستبداد، وبالرغم أيضاً من حالة الفصام التي ظلت ملازمة لأجيال من الأتراك بسبب غياب التوافق الجمعي حول الهوية العثمانية في ظل جمهورية حديثة تريد أن تصنع لنفسها هوية جديدة تقوم على القومية التركية في مجالها الجغرافي الجديد والضيقي.

بخلاف حماية الموانئ في حوض المتوسط وتشديد الحصون الدفاعية في كبرى المدن لم يقترب دخول العثمانيين للبلاد العربية بنهضة علمية أو ثقافية مشهودة

وظلت المقولة راسخة منذ بدايات التأسيس للدولة التركية الحديثة، بأن "لا صدق حميماً للتركي سوى التركي"، رداً على ما كان يشاع بين المؤرخين الأتراك من خيانة العرب للعثمانيين في الحرب العالمية الأولى التي أدت إلى تفكك الإمبراطورية المهترئة، وهو ما كان يبرر القطيعة المتعمدة مع العالم العربي التي طالت حظر الأذان باللغة العربية في المآذن التركية حتى عام 1950.

لكن التفات تركيا إلى المشرق كان قد تزامن مع نهاية المطاف لسنوات من المفاوضات العقيمة ومطاردة الأوهام مع الاتحاد الأوروبي طلباً لعضوية تفقد في تقدير المحور المناوئ لأنقرة، فبينما وبرلين وبودابست، للمعايير الموضوعية في مجال الحريات والقوانين والهوية الثقافية، فضلاً عما خلفه الاحتلال العثماني لجزء من القارة العجوز من شروخ مستمرة في العلاقات بين الجانبين حتى اليوم.

عادت تركيا إلى المشرق. وسواء كان ذلك اضطراراً أم في سياق مراجعات

تركيا وروسيا ماضيتان في علاقة مشوشة

على الإطلاق إلى العاصمة السورية. وما من شك في أن اردوغان جاء بذكره في المباحثات التي أجراها بوتين مع الرئيس السوري بشار الأسد، لكننا وصلنا إلى نقطة باتت فيها هناك نتيجتان فقط لهما جدوى في إلب: إما أن تسيطر الحكومة السورية على المدينة، وهو ما سيؤدي إلى نزوح المزيد من اللاجئين إلى تركيا، أو أن تتولى تركيا السيطرة المباشرة على أجزاء من المدينة، على أن يسيطر الأسد على الأجزاء المتبقية. ومن المرجح أن يكون لبعوتين دور كبير في اتخاذ قرار بهذا الشأن، وإن كان لا يملك القول الفصل في الأمر كله.

تتباحث روسيا وتركيا أيضاً بشأن ليبيا، حيث يدعم كل منهما طرفاً معادياً للطرف الذي يبدعه الآخر. والأولوية الملحة في الوقت الحالي هي لتجنب نشوب صراع مباشر، خاصة بسبب دعم الجيش التركي ووكلاء أنقرة حكومة الوفاق الوطني في طرابلس. ودعا بعوتين و اردوغان من إسطنبول إلى وقف إطلاق النار بحلول منتصف ليل 12 يناير، لكن من المشكوك فيه أن يلتزم أي من طرفي القتال بهذه الدعوة. ولدى تركيا كلمة مسموعة عند حكومة الوفاق الوطني، لكن روسيا ليست في الموقف الذي يسمح لها بكبح جماح تقدم قائد الجيش المشير خليفة حفتر، الذي حقق نصراً إثر السيطرة على مدينة سرت الساحلية. وعلى عكس سوريا، ليس لدى روسيا بالفعل جنود على الأرض. أثبت بعوتين أن لديه مرونة وانفتاح على التعامل مع اردوغان، لكنه لا يملك نفوذاً مطلقاً في سوريا، ونفوذه في ليبيا أقل بكثير. وتقول المحتلة الروسية ماريانا بيلينايا إن "الجانب السليبي في النفوذ الروسي في الشرق الأوسط هو أن هذا النفوذ صار أسيراً لمساعة رجلها القوي. من المتوقع الآن أن تتدخل روسيا عملياً في جميع الصراعات الإقليمية، بينما يتوقع زعماء محلليون أن تكرر سياستها تجاه سوريا في ليبيا". ونظراً لعدم تناسب التوقعات مع ما هو ممكن، فإن أقصى ما تستطيع روسيا وتركيا فعله هو الاستمرار في هذه العلاقة المشوشة، ومن ثم فإن بعوتين و اردوغان مستمران في هذه المسرحية.

التي تغطي ترك ستريم، وستخضع للتفاوض من جديد. وستكون الشروط التي ستحصل عليها شركة بوتاش الحكومية التركية، والشركات الخاصة التي لها صلة بخط الأنابيب، من شركة غازبروم مؤشراً على ميزان القوة. وتستورد تركيا كميات أقل من الغاز الروسي، والسبب الأول في هذا هو أن المصاعب الاقتصادية أدت إلى تقليص الطلب. أما السبب الثاني فهو استيراد الغاز الطبيعي المسال الأرخص ثمناً من موردين مثل الجزائر وقطر، بل وحتى الولايات المتحدة.

لكن ما يدور في عقلي اردوغان وبوتين أكبر من مسألة النفط والغاز، في ظل هذا الوضع المتوتر في منطقة الشرق الأوسط. وروسيا وتركيا متحدثان من جهة أن كل منهما ليست لديه مصلحة واضحة في المواجهة بين إيران والولايات المتحدة بعد مقتل الجنرال الإيراني قاسم سليماني بامر من البيت الأبيض. كما أن تقليص أظافر إيران ليس بالضرورة خيراً سنياً، بالنظر إلى أن الجمهورية الإسلامية أسست في كثير من الأحيان الجهود الروسية التركية الرامية إلى إبرام اتفاقات في سوريا عبر عملية أستانة. وفي النهاية، فإن طهران صديق وعدو في وقت واحد لكل من أنقرة وموسكو، لكن نشوب صراع في المنطقة بفعل قرارات ترامب الهوجاء ليس في مصلحة أي طرف.

وفي مؤتمرهما الصحافي المشترك، لم يتطرق بعوتين و اردوغان بأي شكل من الأشكال إلى موضوع مدينة إلب السورية التي تسيطر عليها المعارضة، والتي مازالت نقطة حساسة بالنسبة لتركيا. وتنفذ الحكومة السورية هجوماً جديداً بمساعدة روسيا منذ منتصف ديسمبر. وقد أفرغ هذا الهجوم اتفاقات وقف أعمال القتال التي توصل إليها بعوتين و اردوغان في أكتوبر الماضي من محتواها.

توجه بعوتين إلى إسطنبول بعد زيارة مفاجئة إلى دمشق، هي الأولى له

ديميتر بيشيف
كاتب في موقع أحوال تركية

في إظهارهما للاتحاد، بدأ اردوغان والروسي فلاديمير بوتين، يعرفان جيداً قواعد اللعبة ومن أين يؤكل الكتف. اظهت زيارة الرئيس الروسي إلى إسطنبول، لافتتاح خط أنابيب ترك ستريم، ما يربط روسيا بتركيا، لكنها سلطت الضوء أيضاً على المشكلات المستمرة في هذه العلاقة. فمن سوريا إلى ليبيا وملك الطاقة، تواجه روسيا وتركيا تحدي كيفية تعظيم الاستفادة من مصالحهما المشتركة، وفي الوقت ذاته إدارة التضارب في المصالح الأخرى.

خط أنابيب ترك ستريم المزروع، الذي سينقل الغاز الروسي إلى تركيا وأوروبا، هو الشق الأقل إثارة للمشكلات في طبيعة العلاقة المعقدة بين البلدين، إذ أنه يحقق المصلحة للطرفين: روسيا وتركيا. ويظهر من خلاله بعوتين أن الجهود الأميركية الرامية إلى إفشال مشروعاته في قطاع الطاقة في أوروبا لا تحقق مبتغاه. وأمنت شركة غازبروم مسارا جديداً للتصدير إلى منطقة البلقان، ومن ثم إلى أوروبا في نهاية المطاف، متجاوزاً أوكرانيا.

من بداية 2020، سيتم نقل الغاز إلى بلغاريا واليونان ومقدونيا الشمالية عبر تركيا. وبات خط الأنابيب الوصل إلى البلقان من روسيا عبر أوكرانيا ورومانيا معطلاً، بعد أن ظل في الخدمة منذ ثمانينيات القرن الماضي. إذن، أصبحت تركيا أخيراً نقطة عبور، وليست فقط مستهلكاً كبيراً للغاز. وفي حفل افتتاح خط أنابيب ترك ستريم هذا الأسبوع، كان اردوغان وبوتين محاطين برئيسي بلغاريا وصربيا، بويكو بوريسوف واليكساندر فوتشيتش. وبات الأمر الراسخ في عقول صنّاع السياسات في أنقرة، أن وضع تركيا الجديد سيُعطيها بالضرورة بداً على الاتحاد الأوروبي وروسيا وسينجبتين مدى صحة هذا من عدمه في السنوات القادمة.

في نهاية عام 2022، سيبتغي أكبر من العقود

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن
أسسها 1977أحمد الصالحين الهوني
رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيديرئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهونيمدراء التحرير
مختار الدباني
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقيمدير النشر
علي قاسم
المدير الفني
سعيدة العيقوبيتصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 - 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.ukwww.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk